تأملات جمالية روحية في كتاب " حياة الحيوان الكبرى" للدميري

أ.د. هناء جواد عبد السادة
جامعة بابل \ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Spiritual Aesthetic Reflections in Al-Damiri‹s "The Great Animal Life"

Prof. Dr. Hanaa Jawad Abdul-Sada
University of Babylon \ College of Education for Humanities
hum.hanaa.jwad@uobabylon.edu.iq

Abstract:

Through our research, we aim to reveal spiritual pauses and aesthetic reflections in a book
The Great Life of the Animal by Al-Dumayri (d. 808 AH), specifically his representation of the noble Prophetic hadiths that...
Animals were mentioned in it, and our study was limited to those meditations and spiritual pauses
Which Al-Dumairi identified with the noble hadiths mentioned in this regard.
The nature of our approach to this research was based on what Al-Dumayri mentioned regarding the characteristics of animals
Of their different natures, through his experience and observation of the nature and livelihood of these animals.
He was alone in mentioning its characteristics and behaviors, which he preceded other Arab and Western scholars
We also mention that he included in this book what came of imagination and what was said about animals, and added
To him, just as he enriched us with interesting anecdotes, rhetorical style, and good choices, in which he excelled.
To the prose style.

Keywords: Al-Dumayri, book, animal, pauses, spiritual, reflections, intellectual.

مُلخص البحث

نهدف من خلال هذا البحث الى الكشــف عن الوقفات الروحية والتأملات الجمالية في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدَّميري (ت ٨٠٨هـ)، وتحديداً تمَثلَهُ للجوانب الروحية من خلال آيات الذكر الحكيم التي وردَ فيها ذكر الحيوانات، وقد أقتصرت دراستنا هذه على تلك التأملات والوقفات الروحية.

التي تماهى فيها الدّميري مع الجوانب الروحية. وقد جرت طبيعة تناولنا لهذا البحث على ما أورده الدّميري من ذكر لخصــائص الحيوانات على اختلاف طبيعتها من خلال معايشــته ومراقبته لطبيعة ومعيشة تلك الحيوانات.

فأنفرد في ذكر خصائص وسلوكيات لها كان قد سبقَ بها غيره من العُلماء العرب والغرب كما نذكر أنه كان قد ضمَنَ كتابهُ هذا ما جاء من خيالات وما قيل عن الحيوانات وأضاف إليه، كما أتحفنا بالطرائف الممتعة والأسلوب البلاغي وحُسن الاختيار، الذي مالَ فيه الى الأسلوب النثري.

الكلمات المفتاحية: الدّميري، كتاب، الحيوان، وقفات، روحية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلقه اجمعين النبي الأمين مُحمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تَبِعهُ بإحسان الى يوم الدين ...

اما بعد

الحمدُ لله على جزيل نعمه وعظيم آلائه، الحمدُ لله الذي كَرَمَ الإنسان وميزه على كثير من خلقه بما أنعم عليه من مننه ويسرَ له أموره بنعمة العقل والبيان. خلقّ الله الإنسان وكرمهُ على سائر الكائنات، بل جعلَ الله جميع الكائنات التي في السموات والأرض مسخرة لمنفعته ، وهو القائل سبحانه: "**وسخرَ لكُم مافي السموات وما في الأرض**"[١]. والآيات التي جاءت في هذا المعنى كثيرة في القرآن الكريم، والحيوان من بين الكائنات التي سخرها الله تعالى للإنسان ، ولقد ورد ذكر الكثير منها في القرآن الكريم فبين الله منافع بعضها للإنسان ، كالخيل والبغال والحمير، وأشار الى بعضها في سياق الأخبار والقصص كالهدهد والثعبان ودابة الأرض . قال تعالى :" **وَالخيْلَ والْبغَالَ والْحَميرَ لِتَرْكبُوها وزينةً ويَخْلقُ ما لا تَعلمُون**" [٢] وكثير من الآيات المباركة التي تحدثت عن عظمة الخالق في الحيوان، وتسخيرهُ للإنسان والتي لا يتسع بحثنا هذا لذكرها جميعاً واكتفينا بالآية المباركة . اما السُنة النبوية المطهرة فقد توسعت بذكر الحيوان ، وقد وردت الاحاديث متضمنة ذكر طائفة من الحيوانات المعروفة وغير المعروفة، وقد فسر العلماء أسماء هذه الحيوانات في مواضعها كما جاء في مؤلفات كمال الدين الدميري (٧٤٢– ٨٠٨ هـ)، وهو من الأئمة الحفاظ وصاحب كتاب (الديباجة في شرح سنن ابن ماجة)، وقد ألفَ كتابه العجيب حياة الحيوان.

وقفة مع كتاب حياة الحيوان الكبرى وصاحبهُ

صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى العالم الموسوعي كمال الدين بن محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، ولِدَ في قرية (دميرة) بمصر عام ١٣٤١ م.

اهتم الدميري بالعلم والمعرفة واتقن علوم اللغة والمعرفة والحديث والادب بعصوره المختلفة وعاش مع الحيوانات ويتتبع حياة كل حيوان وفتح الله تعالى له افاق مشعة في هذا المجال ولد من رحمها كتابه الموسوعي ((حياة الحيوان الكبرى)). والذي ترجم الى العديد من اللغات الاجنبية.

وفي جامع الظاهر بيبرس كان يحضر في علم الحديث، كما كان يدرّس في مدرسة ابن البقري بباب النصر اتجه الدميري بعد ذلك لدراسة حياة الحيوان. ويرجع الدميري الى دَمِيرة بفتح أوله وكسر ثانية، وهي قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ... وهما دميريتان أحداها تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق من رُيد دمياط .(٣)

رصدَ الكتاب حياة ١٠٦٩ كائناً، بالترتيب الابجدي على طريقة المعجم، وتناول الصفات المميزة لكل كائن، وأسماء تلك الكائنات خلال مراحل نموها. كشف لنا الدميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى عن قدراته الخلافية في قواعد اللغة وملكته الشعرية والفلسفة والحكمة وتشريع الأحاديث النبوية الشريفة تجمعت كلاها في هذا الكتاب الذي يضم مجموعة فريدة وقيمة من الحقائق المتصلة بتاريخ الحيوان رحلَ الدميري الى مكة (ست مرات) وجاور بها، كما فصّل في ذلك السخاوي، وقد قَدِمها أول مرة موسم الحج سنة ٧٦٣هـ، وفيها كلها عدا الثانية يمكث ما يزيد على السنة. وقد ذكر السخاوي: ان الدميري كان متزوجاً من امرأة صالحة انجبت له بنتان تزوجتا بأخوين عالمين .(٤)

وإذا ما تحدثنا باختصار عن عصر الدميري من الناحية السياسية، فأنه عاش في فترة حكم المماليك الشراكسة في عام ١٣٨٢– ١٥١٧ وكان الدميري منذ نشأته أشهر بالذكاء المفرط وكان مُلماً بالعلم والسياسة وكان لا يعجبه تصرفات المماليك في مصر. ومُنذ صغرهُ عُرفَ بالسياسة وكان المماليك يتتبعون مجالسهُ وخطبهُ في المساجد تشتم فيه روح السياسة وقد فطن المماليك لتوجهات الدميرية السياسية وكان ينتقد بعض تصرفات المماليك والبذخ والرفاهية التي يعيشها سلاطين المماليك، وقد استدعاه أحد قُضاة المماليك، ليعينهُ قاضياً حتى لا يجد فراغاً للسياسة ولكن الدميري رفض القضاء واختار ان يُكمل دراسته ويؤلف كتبه. اما من ناحية الحياة الاجتماعية في عصره، فأن التنافس على السلطة، والمعارك الجانبية التي كانت تنشب هنا وهنالك في مصر والشام، بالإضافة الى المواجهات العنيفة ضد المغول ومن بعدهم الفرنجة الصليبين كانت تستنزف الطاقات المالية والاقتصادية في مصر، مما دفع الملوك الى فرض ضرائب جديدة كلما دعت الحاجة، مما ثقل كاهل الناس خصوصاً في مصر. وفي مسجد دميرة العامر وسط المدينة كانت فيه حلقة للدميري، يُدّرس فيها القرآن والتجويد والحديث والحفظ، وكان يجمع اهل القرية في مساء كل يوم ويُلقي عليهم دروسه وكان محبوباً بين أهل قريته. ولم تقتصر علومهُ على اهل قريته بل أنتفع بها اهل المدينة وكان في كل يوم جمعة يذهب الى القرى المجاورة ليلقي عليهم دروسا في الفقه والتفسير. وكان ورعاً متواضعاً لسانه يلهج بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ما جلس في مجلس إلا شغل الناس بالمواعظ الحسنة والنصائح الغالية. وكانت نشأة الشيخ الدميري نشأة فريدة من نوعها فنشأ مُحباً للعلم والعلماء كثير التردد الى المساجد، كثير القراءة

ومجالسة العلماء، يصحب كبار المشايخ ويأخذ عنهم العلم، وكان بجانب العلوم الإسلامية، كان أديباً وعارفاً بقواعد اللغة العربية.

وكتاب " حياة الحيوان الكبرى" يدل على مكانته العلمية. وقد بدء الاهتمام في الكتابات عن الحيوان منذ عهد الدولة العباســـية التي حدثَ فيها انفجار معرفي كبير، وبدلا فيها التدوين في جميع العلوم وكذلك الترجمة.

وقد بدأ التأليف في علم الحيوان من القرن الثاني الهجري في الأنواع الاتية:

١. كتابات عن الحيوان من حيث أهميتها في اللغة
٢. كتابات عن الحيوانات من حيث أهميتها في الطب.
٣. كتابات عن الحيوانات بصورة صرفة وبحتة.
٤. كتابات عن الحيوانات من حيث أهميتها في الزراعة .(٢)

ولم يقتصــر الدميري على ما حصــل عليه من علماء مصــر بل رحل الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ســنين متفرقة وتلقى العلم من علمائها، وجعلَ يأخذ من كبار العلماء في زمانه، فقرأ على أحمد ابن التقي السبكي وابى الفضل النيوري والجمال والاسوني، واخذ الادب عن القيراطي والعربية وغيرها عن البهاء بن عقيل، فبرع في التفسير والحديث والفقه واصوله والعربية والادب وغيرها من العلوم وبعد أن اكتملت حصـــيلته العلمية وعاد الى مصـــر حيث قام بالتدريس بالجامع الازهر، ومن آثاره في المصنفات التي قام بتأليفها الشيخ الدميري منها:

١. شرح سُنن ابن ماجة في نحو خمسة مجلدات سماه الديباجة.
٢. شرح المنهاج في أربعة مجلدات سماها النجم الوهاج.
٣. نظم في الفقه أرجوزة مفيدة.
٤. أختصر شرح الصفدي للامية العجم.(٥)

منهج كتاب حياة الحيوان

اتبع الدميري في كتاب ((حياة الحيوان الكبرى)) الترتيب الابجدي، ويعد مرجع لحياة الحيوان يعتمد على توثيق المعلومات بالملاحظة والمتابعة وبناء الاحكام على ذلك. تطرق الى مجال دراســـة الحيوانات وتدوين ســلوكها وعيناتها في وقت كان علم التصــنيف مختلفاً الى درجة بعيدة وفي أوربا بعد زمن بعيد جاء الامبراطور فردريك الثاني ليكتب كتاباً عن الصـقور لم يذكر فيه نصـف ما ذكره الدميري من قبله. ويعد كتاب الدميري أول مرجع لعلوم الحياة، كُتبَ بطريقة علمية. رتّبهُ على وفق حروف الهجاء الا انه

ابتدأ من الأسـد قبل الإبل وذلك لان الأسـد "أشـرف الحيوان المتوحش ، أذ منزلته من الحيوانات منزلة الملك المُهاب لقوته وشجاعته ومشارفه وشهامته ومهابته وجهامته وشراسة خلقه"[٦].

وضـع الكتاب في جزأين يرد في الجزء الأول أحاديث عن الحيوانات كالأسـد والابل والاابابيل وغيره ثم ينتقل مؤداها (كل سـادس قائم بأمر الامة مخلوع) ويبدأ بأول قائم بأمر الامة النبي محمد (ص) وينتقل الى التسلسـل الخلافي للحكم ثم يعود الدميري ثانية ويرجع الى ما قصـده من الكتاب فيتكلم عن الأوز، ويسـتمر كذلك حسـب الحروف الابجدية ، اما الجزء الثاني من الكتاب فيبدأ بحرف الزاي وينتهي بالياء ذكر اليعسوب .[٧]

عرض الدميري المعلومات عن كل حيوان بعدما يضـبط اسـمه وطباعه ويسـتحضـر طائفة من الآيات القرآنية التي لها علاقة بالموضـوع ولاحاديث النبوية الشـريفة فضـلا عما جاء أشـعار قديمة وما قيل فيه من امثال واحكام شـرعية في اكله او تحريم اكله ويحرص على ذكر الخواص الطبية والمنافع والمضـار من اكل لحم هذا الحيوان او ذاك. ويُذكر أن هناك من الخرافات والبدع والاسـاطير ما ضُـمنت في هذا الكتاب، والتي أضـافت بدورها رونقاً خاصـا وطعماً آخر للكتاب، فهي أعطته شيئاً من الطرافة ولوناً من الخفة والسهولة وشكلاً من الدعاية، بغض النظر عن تصديق المؤلف لها أو عدمه ومن ذلك مثل قوله: الاعتقاد بتحصيل منفعة او دفع ضرر في تعليق بعض أجزاء الحيوانات ومن ذلك:

- ابن آوى: إذا علقت عينه اليمنى على من يخاف العين أمن، ولم تضره عين.
- الغراب: إذا عَلقَ منقاره على أنسان حفظه ذلك من العين.
- الثعلب: إذا شد نابه على الصـبي الذي به ريح الصـبيان أذهب ذلك عنه وآمن من الفزع في النوم.

ويقول رأيت في خط بعض المشـــايخ لإذهاب النمل ان يكتب في اناء نظيف هذه الأســـماء، وتُغســـل بماء وتُرش في بيت النمل ، فأنه يذهب ولا يطلع.[٨] ومنها ايضـــاً ان يُكتب على اربع شـــقف نباتات، وتُجعل في اربع اركان المكان الذي فيه النمل ، فأن النمل يرحل وربما مات .

وقفة روحية جمالية مع الاحاديث النبوية

وهي من الكثرة التي لايتســـع بحثنا هذا الا أن نوردَ منها بعض الأحاديث التي ورد ذكر الحيوان فيها، وأخذ الجانب الروحي حيزاً فيها. عن عبد الرحمن بن آدم[٩]: ان النبي صـــلى الله عليه وســـلم قال: "**ينزلُ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام الى الأرض وكان رأسه يقطر وإن يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الإسلام فيُهلكُ الله في زمانه المسيح الدجال وتقعُ الأمنة على أهل الأرض حتى ترعى ألاســـود مع الابل والنمور والبقر والذئاب مع الغنم ويلعبُ الصـــبيان مع**

الحيات لا يضر بعضهم بعضاً ثم يبقى في الأرض أربعين سنة ، ثم يموت ويُصلي عليه المسلمون ويدفنونه" (١٠) .

استحضر الدّميري هذا الحديث وما تضمنه من ذكر لحيوانات اختلفت في طبيعتها وتكوينتها، منها حيوانات حرمها الإسلام في الاكل واللمس، ومنها مُفترسة حياتها الغابات والبراري، وأخرى مما ألفها الانسان في حياته. واراد الدّميري من ذكرها مُجتمعة في هذا الحديث، وذكر السيد المسيح (عليه السلام)، وذكر الدجّال في نفس الوقت مُقترن بذكر الخنزير وماله من دلالات مُشابه، وقرائن قتل الخنزير وهلاك الدجّال على يد السيد المسيح عليه السلام، وما يحلُ بعد ذلك حيث ترعى الأسود مع الإبل، والذئاب مع الغنم، والصبيان مع الحيات دون ضرر. نلحظ ان الدّميري أراد من ذلك معنى روحي يتجلى في ان القضاء على الظلم والنفاق يجعل الحياة موضعاً للتعايش السلمي بين الجميع دون ان يضر أحدهما الاخر، وهذا لا يتم الا على يد أصحاب الايمان والحق والبصيرة. فهي وقفة روحية جسدها من خلال ذكر الحيوان الوارد في الحديث الشريف الذي أستحضره. وعن محمد بن المنكدر: أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ركبتُ البحر فانكسرت سفينتي التي كُنت فيها لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل الي فقلت : انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا تائه فجعلَ يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق ثم همهم فظننتُ أنه السلام.(١١)

ذكر الدّميري هذا الحديث الشريف للتعبير عن القوة والنجدة والبسالة وشدة الاقدام، وقيل لحمزة: أسد الله، ويُذكر أن للأسد من الصبر على الجوع وقلة حاجته للماء ما ليس لغيره من السباع، والأسد لا يأكل من فريسة غيره وإذا شبعَ من الفريسة تركها ولم يعد اليها .(١٢) وتمثلت الوقفة الروحية الجمالية هنا للتعبير عن الذي يأخذ بيدك ويدلُك الطريق حين تكون تائهاً منكسراً في لُج هذه الحياة، حتى يوصلك الى بر الأمان. قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت فلم تُطعمها شيئاً ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**"(١٣).

كان الدمّيري قد سبقَ غيره الى مسألة الرفق بالحيوان، فهو الذي نذر جزء كبير من حياته لمراقبة ومتابعة سلوك وطبيعة الحيوانات بمختلف أنواعها وأشكالها، ودخل في تفصيلات دقيقة عن طبيعة حياتها ومعيشتها، حتى رصد أدق التفاصيل. وهو يقف في الحديث الشريف على مسألة الرفق بالحيوان، ويذكر هذا النوع من الحيوانات وهي "الهرة" وتُعتبر من الحيوانات الاليفة التي اعتادت معايشة الانسان في مسكنه والعيش بالقُرب منه، فوقفته الروحية هنا قد أوضحت ان دخول الانسان للنار قد يكون بسبب قتله حيواناً بغير وجه حق. لقد وقف الدميري وقفة تأملية جمالية امام بيئة كل حيوان واهتم بدراسة العلاقات التكاملية

بين حيوان واخر على اساس المنفعة المتبادلة بينهما ولو اخذنا حيوان (الضب) وهو من الزواحف يسكن في جحور الصخور يستضيف العقرب في النفق المؤدي لجحره كي لا يتقرب أحد ويمسك به.

وايضا هناك علاقة تكافلية بين طائر صغير يتغذى على الطعام العالق بأسنان التمساح في عمل مفيد للطرفين. اما صورة الاسد التي تشير الى الجمال الروحي الذي اهتم به الدميري فهي تكشف عن سلوكيات ملك الغابة وهي:

١. لا يأكل من فريسة غيره.
٢. لا يشرب من ماء ولغ فيه كلب.
٣. لا يأكل أكثر من طاقته فاذا شبع ترك فريسته لغيره.
٤. يربي ابناءه تربية خاصة تجسد سلوكيات ملك الغابة، أثبتها العلم اليوم.

ولو تتبعنا ما جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى من ظواهر علمية خاصة ببعض الحيوانات لوجدنا ان الدميري قد تقدم على الابحاث العلمية التي ظهرت حديثا بعدت سنوات، لان الديري اعتمد في كتابه على المعايشة ودقة الملاحظة للوصول الى النتائج العلمية التي خلدت وجوده.

وفي نفس المجال وقف الدميري امام حياة (الخطاف) وقفة جمالية اهتمت بملاحظة كيفية تربية الخطاف لأفراخه، من خلال الاتي: .

١. لا يضع افراخه في عش قديم.
٢. يبني عشه من الطين والتبن الذي يعمله بطريقة عجيبة.
٣. يضع قضبان الكرفس في عشه إذا فرخ كي لا يؤذيه إذا شم رائحته.
٤. يهيئ عشه على القدر الذي يحتاج اليه هو وافراخه .
٥. لا يترك اي اوساخ في عشه، بل يتضفه ويرمي به خارج العش.
٦. يهتم بصحة افراخه فاذا كبوا يعلمهم اسلوب الحياة الخاصة بهم.
٧. طائر الخطاف يعشق بشدة، وقد وقف الدميري امام صورة جمالية روحية لطائر عاشق يتغزل بخطافة فوق قبة سليمان (عليه اللام ٩ فامتنعت منه فقال لها الخطاف سأقلب القبة على سليمان، فسمع سليمان هذا القوال فغضب وقال للخطاف ماجبرك على هذا القول فقال له العشاق لا يؤاخذون باقوالهم، قال سليمان: صدقت.
٨. وفي وقفة روحية جمالية يحلق بنا الدميري الى عالم الشكوى الذي أطلقها ادم (عليه السلام) بعد خروجه من الجنة فستجاب الله عز وجل لشكواه وبعث له بطائر الخطاف ليكون انيسه في الحياة الدنيا.

وكما ان الدميري تحدث قبل غيره عن دورة حياة دودة القز، موضـــحاً ان البيضـــة تُعطي اليرقة (الدودة) التي تغزل شـــرنقة حولها تتحول الى طور العذراء، ثم تخرج منها الفراشـــة في النهاية، وهي بدورها تبدأ دورة حياة جديدة بوضع البيض.

وقفات جمالية للأخبار العجائبية والاقوال المأثورة في كتاب الدّميري

ومما وردَ في كتاب الحيوان الكبرى للدّميري، نوع من أشكال القص تضمن أخبـــــار عجائبية، وهي ما تعترض فيه الشـــخصـــيات بقوانين جديدة ، تُعرض قانون الواقع التجريبي[١٤] فقد أوردّ الدّميري تلك الاخبار العجائبية التي تســـلب الســـرد بعدهُ الواقعي، وتدخل في اطار الاخبار المُخترعة والتي تُضـــفي بدورها طابع الخيال في أحيان كثيرة.[١٥] ولقد أبحرتُ في قدســـية ما جاء من قص روحي على لسان الطير، ووقفت سفينة ذاكرتي الروحية مع قصة " طائر زرياب" والذي تغذى طوال الليل بغذاء روحي فريد من نوعه أطعمهُ أياه صـــاحبهُ والذي أنماز بالتقوى التي هي حضُ كل مؤمن، والنعمة العُظمى التي لا تتحصـــل الا بعبادة الله تعالى إقراراً له بربوبيته ، والتي كشـفت لنا عن حقيقة تقوى ذلك الرجل الذي رضـــى بما كتب الله تعالى له في ذلك اليوم ، حيث إنه لم ينسَ ذكر الله تعالى وتمســـك برحمته الواســـعة يدعو ربه طوال الليل حتى وصـــل درجة اليقين، بعدما جلس على باب الله مُتهجداً يسألهُ العطاء ، وهل هُناك أجمل من عطاء الله؟

ونذكر ما جاء من تلك القصة مما ذكرهُ الدميري في مؤلفه:

((حُكي أن رجلاً خرجَ من بغداد، ومعهُ أربعمائة درهم لا يملك غيرها، فوجدَ في طريقهِ أفراخ زرياب فاشتراها بالمبلغ الذي كان معهُ، ثُمّ رجعَ الى بغداد فلما أصبحَ فتحَ دُكانهُ وعلّقَ الأفراخ عليها، فهَبتْ ريحٌ باردةٌ فماتت كُلها إلا فرخاً واحداً، وكان أصـغرها فأيقن الرجلُ بالفقر ولم يزَلْ يبتهل الى الله بالدعاءِ ليله كُلهُ ويقول: "ياغياث المُســـتَغيثين أغثني!" فلما أصـــبحَ زالَ البردُ، وجَعلَ ذلك الفرخ ينفشُ ريشـهُ ويصـيحُ بصـوتٍ فصـيح: ياغياث المسـتغيثين أغثني، فأجتمع النّاس عليه يَستمعونَ صوتهُ، فاجتازت به أُمة لأمير المؤمنين فأشترتهُ بألف درهم.)) [١٦] ذكرنا في مقدمة بحثنا هذا أنّ الدّميري قد أوردّ فيما أورده في مؤلفه المتنوع بعض الاخبار. المعبرة عن جمال الروح المؤمنة النقية. وإذا ما نظرنا في خبر " طائر الزرياب" نلحظ أن العجائبية فيه قد تحققت في نطق ذلك الطائر، وفصـاحة لسـانه بترديد ذلك الدُعاء الذي ردده صـاحبهُ حين مسـهُ الضُـر عندما هبت تلك الريح الباردة بمشـيئة الله تعالى، وأدت الى موت جميع الافراخ التي كان قد أشـــتراها بكُل ما يملك من مال، الا فرخاً واحداً لم يَمُتْ، فلجأ ذلك الرجل للدعاء وقد تحقق دُعاءهُ، وهو ما يكشف عن صدق النية وصفاء السريرة في التوجه لله بالدعاء فتحسنَ حال ذلك

الفرخ ونفش ريشه وليس هذا فحسب بل أصبح ينطق ويُقلد الأصوات بلسان فصيح، وتقليده لصوت صاحبه وهو يبتهل بالدعاء شكلَ ثيمة عجائبية كبيرة تجلت بشرائه من قبل احدى إماء الخليفة "ألف درهم" ليعوضَ الله بها – ما ظنه صاحبه انها خسارة– قد أصابته ولكن حكمة الله تعالى كانت أكبر مما ظنهُ الرجل من فقده ماله حين موت الافراخ. "**وان يمسسكَ اللهُ بضُرٍ فَلَا كَاشف لَهُ الّا هو وان يمسسكَ بخيرٍ فَهُو عَلَى كُل شيءٍ قدير**"[١٧] وهذا ماتمثلت به وقفة الدّميري الجمالية والروحية. التي أخذت منحاً روحياً خاصاً

أوصلنا لعوالم ما وراء المرئيات، وتكشفَّ لنا ذلك من خلال مزج الصورة الفنية المرئية بالصور غير المرئية، ومثال ذلك صورة الرجل الجالس يتهجد ويُسبح بقوله: "يا غياث المُستغيثين"، وصورة الطير وهو ينفُش ريشهُ وينتعش وبينهما صورة ثالثة غير مرئية والتي ظهرت بشكل غريب في صبيحة اليوم التالي وجسدت

صور عديدة أبرزها:

الصورة الأولى: الطير ⟵ بصحة جيدة ⟵ (صورة مرئية)

الصورة الثانية: الطير ⟵يحزن في ذاكرته الروحية ما قاله صاحبه ⟵(صورة غير مرئية)

الصورة الثالثة: الطير ⟵ ينطق بفصاحة ⟵ (صورة صوتية حركية)

الصورة الرابعة: الطير ⟵ الحضور ⟵ صاحبهُ ⟵ (صورة عجائبية)

الصورة الخامسة: محرك هذه الصور الجمالية = الروح المُتقية وإذا ما وقفنا مرة أخرى على هذه القصة لنقرأها قراءة جمالية روحية، نجدها قد تمثلت في قوة الهالة الضوئية التي أكتسبها طير زرياب في الذكر " يا غياث المُستغيثين". والذي أوصله الى النطق وهذ ما شكّلَ لنا صورة عجائبية وغير مألوفة، لأن الحضور في مجالس الذكر يُعطيك هالة ضوئية مُشعة ترتقي بك لعالم السمو الروحي. حيث جاء عن الرسول الاكرم أنه قال: " **أذا مررتم برياض الجنة فارتقوا، قالوا وما رياضُ الجنة؟ قال: حلق الذكر**". وفي حديث أخر قال "المساجد". وفي الحالتين هو المكان الذي يكثر فيه ذكر الله بقلبٍ خاشعٍ وروحٍ مُتعلقة بخالقها. قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "**إنّ الله لايقبلُ دعاءٍ من قلبٍ غافل لاهي**" رواه البخاري. وهكذا قد وجدنا أن القدرة الإلهية هي التي تتحكم في النهايات، وأن الدعاء مُستجاب عندما يصدرُ من روح تقية تريد الخير لها ولمن حولها، والله تعالى يستجيب لمن يرى لهُ خيراً في هذا الامر أو ذاك. وجدتُ في رحلتي الروحية مع طائر زرياب أن العوض الإلهي جميل والعطية كبيرة، ولا تلحقُ بمّنٍ أو أذى، وجدتُ ان الله عز وجل قريبٌ يسمع ويرى وهو على كُل شيء قدير وبالإجابة جدير.

حرصَ الدميري أيضـاً في مؤلفه على نقل الاخبار والأقوال المأثورة، وإسـقاطها كحُجج يُعزز بها ما يطرحهُ من أفكار، كون تلك الاقوال غالباً ما كانت تصـــدر من مرجعيات لها ثُقلها الديني والتاريخي والادبي. ومما ورد في هذا الشأن ما ذكرهُ عن مصاحبة العُلماء والذاكرين ومما تنفع به تلك المُصاحبة الانسان لفعل الخير وتُجَنبهُ فعل السوء ، فينقل الدّميري عن ابن عطيه عن والده عن ابي الفضـــل الجوهري الواعظ أنهُ قال ((مَنْ جالسَ الذّاكرين انتبه من غفلته ومن خَدمَ الصالحين أرتفع بخدمته))[١٨]

لا يخفى أن الدّميري كان من عُلماء مِصر في عصره، وكان كثير العبادة مُلازماً للصوم وتتلمذ على يد مجموعة من المشايخ في عصره .[١٩]وقد أنعكس ذلك على مُعظم مؤلفاته ، وما أوردهُ من أخبار وقصـــص وأمثال. حيث جاءت مُتماهية مع فكرهُ وعقيدته وعلومه الدينية المتماشـــية مع القرآن الكريم والســنة النبوية الشــريفة، ومثال ذلك هذه المقولة التي جاءت لتُبين أهمية مُجالســة الصلحاء وما ورد في ذلك في القرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة. فعن أبي موسى الأشعري أن النبي قالَ" إنَّما مَثَلُ الجلِيس ألصّــالِحِ وَجَليسَ السُّــوءِ: كَحَامِلِ المِســكِ، ونَافخِ الْكِير[...] " مُتفق عليه. وهكذا أتضـــح لنا أن كتاب حياة الحيوان الكبرى يحتوي على كنز مكنون من الوقفات الروحية التي عرضـــها العالم العارف الفقيه الاديب " الدّميري". بأســلوب أدبي جميل، وصـــور عجائبية تكشـــف عن حقيقة روحه المُبحرة في عالم اللامرئيات، والتي شـــفت بروح بنور الحق المبين، لتروي للأجيال قصـص على لسـان الحيوان وبعلوم مختلفة حيث أثبت العلم الحديث وفي مختلف دول العالم حقيقة ما جاء به " الدّميري" في كتاب حياة الحيوان الكبرى.

المصادر

القرآن الكريم

١. السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨.
٢. الاعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م
٣. الامالي: الشيخ الصدوق، منشورات جماعة الدارسين، تح مؤسسة البعثة
٤. أنباء الغُمر بأنباء العُمر: بن حجر العسقلاني، تح د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
٥. بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان
٦. تاريخ مصر، للمقريزي، تح: ايمن بن عارف الدمشقي، مكتبة السنة، مصر، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٧. حياة الحيوان الكبرى، للدميري، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١ ،٢٠٠٥
٨. السُنة النبوية والأحاديث الشريفة.
٩. كتاب الحيوان للجاحظ وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري دراسة مقارنة.
١٠. مُعجم البلدان: ياقوت الحموي، تح: فريد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١.
١١. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى طاشكبري، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م
١٥ مُعجم المصطلحات ألادبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ،١٩٨٥.

Sources

1. Arabic Narrative (Concepts and Manifestations), Saeed Yaqtin, Vision Publishing and Distribution, Cairo, 2nd edition, 2008.
2. portraitU \ https:\\doc> agjazeera.net
3. The hadiths and hadiths contained in the book “Hayat al-Hayal al Kubra” by Al-Dumayri
4. Al-A‹lam, Al-Zirakli, Dar Al-Ilm Lil-Malaya‹in, 5th edition, 2002 AD.
5. Al-Amali: Sheikh Al-Saduq, Publications of the Scholars Group, under the Mission Foundation
6. News of being immersed in news of age: Bin Hajar Al-Asqalani, edited by Dr. Hassan Habashi, Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt, 1389 AH, 1969 AD.
7. Bihar Al-Anwar, Al-Allamah Al-Majlisi, Al-Wafa Foundation, Beirut, Lebanon
8. History of Egypt, by Al-Maqrizi, edited by: Ayman bin Arif Al-Dimashqi, Sunnah Library, Egypt, Cairo, 1st edition, 1415 AH, 1994 AD.
9. The Great Life of the Animal, by Al-Dumairi, edited by: Ibrahim Saleh, Dar Al-Bashaer for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 1st edition, 2005.
10. The Sunnah of the Prophet and the Noble Hadiths

الهوامش:

(١) سورة الجاثية: الاية ١٣

---

[٢] سورة النحل: الاية الثامنة

[٣] ينظر مُعجم البلدان : ياقوت الحموي :١٧٢\٢

[٤] المقريزي : ج١ \ص٨٦.

[٥] ينظر : الاحاديث والاثار الواردة في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري ، فائزة الحاج احمد ، أطروحة دكتوراة ، جامعة ام الدرمان الإسلامية ، ٢٠١٤ : ص١٦

[٦] حياة الحيوان الكبرى ' الدميري ' ج١ :ص٢٦

[٧] المصدر نفسه ' ج٢ : ص٥٦٦

[٨] يُنظر ' كتاب الحيوان للجاحظ وحياة الحيوان الكبرى للدميري – دراسة مقارنة – نجلاء عبد الحسين ' مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ' المجلد ٢٠ ' العدد١١ ' تشرين الثاني ' ٢٠١٣

[٩] عبد الرحمن بن آدم البصري ' والمعروف بصاحب السقاية ' صدوق '(١١ \ ٥٦٠)

[١٠] أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب البيوع – باب قتل الخنزير – ج٢ :ص٧٧٤

[١١] المستدرك على الصحيحين للحاكم مع التعليقات – باب ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم – ج٢ ص٦٥١ ح ٤١٦٣

[١٢] يُنظر : بحار الانوار ، العلامة المجلسي :ج٦٢ \ص٨١

[١٤] يُنظر مُعجم المصطلحات ألادبية ، سعيد علوش : ص١٤٦.

[١٥] يُنظر : السرد العربي (مفاهيم وتجليات) : ١٠٥

[١٦] حياة الحيوان الكبرى : ٢ \ ٤٨٥

[١٧] سورة الانعام : ١٧

[١٨] حياة الحيوان الكبرى : ٢ \٥٨٦

[١٩] يُنظر ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : ٢ \٢١٣